ظهور مدينة تعز وتحول العاصمة الرسولية إليها

د. عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك آداب جامعة تعز

ملخص

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تقف على الظروف التي أحاطت ظهور مدينة تعز، وبواعث انتقال العاصمة الرسولية إليها، وخلفية تسميتها بتعز، ذلك أن الغموض ظل يلف البدايات الأولى لهذه المدينة، التي أصبح لها أهمية كبيرة في التاريخ اليمني، قياساً إلى الزمن الذي ظهرت فيه، وإن كانت منطقتها الجغرافية قد حضرت في كثير من مراحل التاريخ اليمني القديم والإسلامي المبكر، وهو ما أشارت إليه هذه الدراسة. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها أن منطقة تعز اكتسبت قبل ظهور مدينة تعز، أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، فكانت عاصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لليمن ثم صارت مدينة تعز عاصمة الرسوليين لما تتمتع به من مقومات طبيعية وبشرية ،لذلك شهدت الدول التي اتخذتها عاصمة لليمن استقراراً سياسياً ونهضة علمية وازدهاراً اقتصادياً لافتاً. وكان أول ظهور لاسم تعز في المصادر التاريخية في منتصف القرن الخامس الهجري، واقتصر على الحصن، حصن تعز(قلعة القاهرة)، فيما كانت المناطق الأخرى تدعى عدينة والمغربة، ثم انسحب الاسم(تعز) شيئاً فشيئاً على المدينة.

مقدمة:

إن البحث في بدايات ظهور مدينة تعز يكتسب أهمية خاصة؛ لأن الغموض يلف المراحل الأولى من تاريخ هذه المدينة، التي أصبح لها بعد ذلك أهمية كبيرة في أحداث التاريخ اليمني، ابتداءً من العصر الصليحي فالأيوبي، ثم العصر الرسولي، مروراً بالعصري الطاهري والعثماني، ثم حقبة حكم الأئمة، إلى الآن، ولما تتمتع به هذه المدينة من سمات ميزتها عن غيرها من المدن.

فالصليحيون كانوا أول من سكن حصنها، عندما نزله عبد الله الصليحي، والأيوبيون آثروها على غيرها من بلدان اليمن، فأقاموا بها بعد أن استخلصوها من أيدي ابن مهدي، ثم جاء الرسوليون فاتخذوها عاصمة لدولتهم، فحولوها من مدينة صغيرة بجانب الحصن، إلى قبلة سياسية وعلمية للعالم المعاصر حينذاك، ثم استعادت المدينة ألقها وبهاءها في العصر العثماني بعدما نال منها الإهمال في عهد الطاهريين،الذين غادروها إلى المقرانة، فعدن، ثم عادت المدينة إلى النسيان في عهد الإمام يحيى، لتعود من جديد إلى دورها الريادي عندما اتخذها الإمام أحمد بن حميد الدين عاصمة لدولته التي عُرفت بالمملكة المتوكلية اليمنية، وظلت المدينة بعد ذلك، بمثابة المعمل الذي تخلقت فيه مجمل التفاعلات والأحداث المؤثرة في التاريخ اليمني.

يزيد من ذلك الشجون، أن الغموض لم يقتصر على نشأة المدينة واسمها فحسب، بل أن كثيراً من مراحل تاريخ هذه المدينة مازالت مجهولة، تحتاج إلى من يميط عنها اللثام،إذ تحتاج إلى دراسات تاريخية عميقة ومتأنية.

ولا شك أن لكل مدينة قصتها الخاصة، وتعز كانت لها قصتها التي تروي البدايات الأولى لظهورها، خصوصاً وأن هذا الظهور أعقبه تحول كبير، إذ تحولت هذه المدينة الصغيرة، التي ربما اقتصرت على الحصن، الذي أخذت المدينة اسمها منه، فيما هو أخذ اسمه من دوره،بالإضافة إلى قرية صغيرة تسمى عدينة أسفل الحصن، ثم ما لبثت هذه المدينة أن تحولت، بفعل تكوينها الطبيعي والبشري، إلى عاصمة لأكبر الدول اليمنية، وأطولها عمراً وأكثرها استقراراً، وأظهرها نهضة وازدهاراً في شتى جوانب الحياة، هي الدولة الرسولية.

وقد أفردتْ هذه الدراسة لاستقصاء الظروف التي اكتنفت ظهور مدينة تعز، والعوامل التي أدت إلى اختيارها من قبل بني رسول مقراً لملكهم في اليمن، خصوصاً وأنهم قد استقروا في البداية ببعض المدن التي لم تكن بالبعيدة عن تعز مثل الجند وزبيد، لماذا تحول الرسوليون عنها إلى تعز ؟ فلماذا لم يستقروا في صنعاء التي كانت تعد قصبة اليمن؟ أو في زبيد ؟ أو في جبلة؟ أو في غيرها من المدن اليمنية التي كانت عواصم لدول يمنية عديدة قبل الرسوليين؟ لماذا غادر الرسوليون زبيد والجند واستقروا في تعز ؟ ما الأسباب التي حملتهم على اختيار تعز عاصمة لملكهم في اليمن؟ وقبل هذا وذاك؛ كيف ظهرت تعز سواء الحصن أم المدينة، ومتى ظهرت، ومن هو أول من اكتشفها واستقر فيها؟

وقبل الشروع بالحديث عن ظهور تعز وتحول العاصمة الرسولية إليها، يجدر بنا الإشارة إلى وضع المنطقة الجغرافية التي ظهرت فيها تعز قبل العصر الرسولي، والمكانة التي حظيت بها لدى الحكام والدول قبل العصر الرسولي.

أولاً : تعز قبل العصر الرسولي:

لم تحظ تعز قبل العصر الرسولي بذات المكانة السياسية التي حظيت بها كثير من المدن اليمنية، مثل مأرب وصنعاء وعدن وجبلة وزبيد، وإن كانت بعض مناطقها، مثل السواء وجبا والجند قد لعبت أدواراً سياسية واقتصادية، فكانت مدينة السواء ومن بعدها جبا قبل الإسلام عاصمتين لدولة المعافر، وكانت مدينة الجند مقراً لإدارة اليمن في العصر الإسلامي.

أما تعز قبل العصر الرسولي فمن الواضح من خلال المصادر والقرائن التاريخية أنها كانت تنحصر في الحصن (قلعة القاهرة) ، فالروايات التي تتحدث عن تعز قبيل العصر الرسولي دائما ما تذكر تعز مقرونة بالحصن (حصن تعز) ، فيما تذكر القرية ، أو السوق ، الذي أطلق عليه تعز إلى الآن، تحت

اسم عدينة، وهو ما يشي به هذا النص الذي يبين نهاية الصليحيين على يد الأيوبيين، وما يهمنا فيه، أنه يحدد تسمية المنطقة التي عرفت بعد ذلك بتعز، أنها كانت تحمل اسم عدينة، إذ يقول :" وخرج ياسر بن بلال آخر وزراء الصليحيين من الدملوة متنكراً إلى عُدينة ومعه مملوكه مفتاح فنمَّ عليه إنسان فقبض عليه وعلى مملوكه وأعلم بهما شمس الدولة توران شاه سنة 571هـ"[1].

ومن الواضح أيضاً أن الاسم تعز انسحب بعد ذلك شيئاً فشيئاً على المنطقة بأكملها بما في ذلك الحصن والقرية والسوق، وعلى المساحات الأخرى المحيطة بالحصن.

وبالرغم من أن الأيوبيين كانوا قد اتخذوا تعز مقراً لحكمهم في اليمن منذ القرن السادس الهجري، وأجروا إليها الماء من جبل صبر[2]، فإن تعز لم تأخذ شهرتها وتظهر على مسرح الأحداث إلى بعد أن اتخذها الرسوليون عاصمة لملكهم في اليمن، وفي غير اليمن في النصف الأول من القرن السابع الهجري.

1- اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لموقع تعز عاصمة لليمن:

أقنعت منطقة تعز بموقعها المتوسط بين أقاليم اليمن النبي ﷺ باتخاذها عاصمة لليمن، فوجه رسوله ووالياه إلى اليمن الصحابي معاذ بن جبل إليها، وأمره أن يتخذ منها قاعدة لنشر الإسلام ، وتفقيه الناس فيه، ومركزاً لإدارة اليمن، فأمره أن ينزل على قبائل(السكاسك والسكون)[3] ويبني مسجده بينهم ،قائلاً :" يا معاذ انطلق حتى تأتي الجند فحيثما بركت هذه الناقة فأذن وصل وابتن مسجداً"[4]، وفي رواية أخرى :انزل بين الطودين الأشمين"، والطودان في لغة اليمن الجبلان، وهما (صبر)[5] و(سورق)[6] وهما الجبلان اللذان يحدان الجند من الشمال والجنوب، فنزل مدينة الجند عاصمة مخلاف الجند، وقد لعبت مدينة الجند بعد ذلك دوراً سياسياً ودعوياً كبيراً في اليمن.

وهكذا فإن اتخاذ معاذ بن جبل الجند مركزاً للدعوة وعاصمة للولاية الإسلامية في اليمن، يعطينا بعض الدلالات؛ لعل أهمها أن ثمة مدينة عامرة كانت قائمة في ذلك المكان، وأنها ربما مثلت أكبر تجمع سكاني في اليمن آن ذاك، وهو ما عرفناه من سير الفتوح الإسلامية، إذ كان الفاتحون يستهدفون التجمعات الرئيسية في البلدان التي توجهوا إليها، سواء بالفتح أم بالتفقيه في الدين، وهو أمر طبيعي، فالداعية لا يمكن أن يذهب إلى مكان مقفر أو قليل السكان، ومما يؤكد وجود هذه المدينة الوضع الحالي لمسجد معاذ بن جبل في الجند، إذ يوجد على انخفاض يبلغ بين مترين وثلاثة أمتار تحت سطح الأرض[7]، وهو في اعتقادنا العمق الذي توجد عليه مدينة الجند القديمة، تحت الترسيبات التي تراكمت عبر مئات السنين، ولمكانة المسجد كان الناس يزيحون عنه هذه الترسيبات، كما يعطينا دلالة في غاية الأهمية، هي أن هذه المنطقة متوسطة بين سائر مناطق اليمن، وبالتالي هي أنسب موقع يمكن أن يتخذ لإدارة اليمن.

2- أول ظهور لتعز في المصادر التاريخية:

لم تذكر المصادر اليمنية قبل القرن السادس الميلادي مدينة تعز، بالرغم من إحاطتها بتفاصيل دقيقة عن مدن وقرى ثانوية في محيط منطقة تعز مثل جبا والسوا والجند والمخا وصبر، وغيرها من المواقع والمدن.

وإذا ما تجاوزنا بعض الاتجاهات الحديثة التي تذهب إلى حضور حصن تعز في مراحل التاريخ القديم، استناداً إلى لقى أثرية في الحصن، سواء في نمط البناء، كما في الجهة الشمالية الغربية من الحصن؛ التي تشبه النمط الحميري، أو ما عثر عليه من تماثيل وعملات[8]، لا تعني بالضرورة حضور الحصن والمدينة في التاريخ القديم، على الأقل بهذا الاسم، لاسيما وأن المؤرخين اليمنيين قد سكتوا عن ذكر الحصن قبل العصر الصليحي، وربما كان بناء بعض جهات الحصن بالنمط الحميري استمراراً لهذا النمط في البناء، كون قبائل حمير قد استقرت في منطقة تعز، وربما تكون الأواني وغيرها من الآثار المنقولة التي وجدت في الحصن قد نقلت إليه بوصفها هدايا أو مقتنيات في العصور الإسلامية.

إذا ما تجاوزنا هذا كله؛ فإن أول ظهور لتعز في المصادر التاريخية يتراوح بين منتصف القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجريين، في العصر الصليحي، وذكر الاسم (تعز) مقرونا بالحصن، وإن اختلفت الروايات التاريخية في منْ بناه؛ بين الأمير عبد الله الصليحي سنة 457هـ[9]، والوالي الصليحي أسعد ابن أبي الفتوح، الذي حكم الحصن وقُتِل فيه بمكان يعرف ببين البابين سنة 514هـ[10].

والحق أن الباحث يميل إلى الرأي الأول، لأكثر من سبب؛ لعل أهمها أن نزول عبد الله الصليحي بالحصن كان أسبق من نزول أسعد بن أبي الفتوح[11]، وثانيهما أن مقتل أسعد في الحصن بين البابين[12] يشير إلى وجود عمارة في الحصن؛ من مباني وأسوار،وليس معنى هذا أن الحصن قد بني مرة واحدة، بل مر بناءه بمراحل عديدة.

وفيما يتعلق باشتقاق اسم تعز، ومدلوله، واقتصاره على جزء من المدينة أو استغراقه لجميع أجزاء المدينة، فثمة خلاف بين المؤرخين، فمن يرجعه إلى عبارة قالها قائد الحصن لابن مهدي وهو يغادر المدينة بعد أن تغلب عليها توران شاه الأيوبي،: يعز علينا يا عدينة أن نفارق، فظن توران شاه أن اسم الحصن تعز، فأطلق عليه هذا الاسم، غير أن الباحث يميل إلى أن تسمية الحصن بتعز، للدور الذي كان يقوم به؛ من الاحتماء والاعتزاز به من الأعداء، فهو يعز من لاذ وتحصَّن به، أوردت بعض المصادر التاريخية ما يمكن أن نستنتج منه أن اسم تعز، الذي أطلق أول ما أطلق على الحصن، مأخوذ من الدور الذي كان يقوم به من الاحتماء، ويؤيد ذلك قول (ابن فليتة)[13] في قصيدة يمدح فيها الملك المؤيد الرسولي:"

بوجهك إن حللت تعز عزا فشمس الأفق قد حسدت تعزا

حللت ذراه في عزٍ فأضحى يتيه على بروج الشمس عزا[14].

3- تعز في العصر الصليحي:

لم تحظ تعز بأهمية كبيرة في العصر الصليحي، لبعدها النسبي عن مركز الثقل السياسي في جبلة، ومع ذلك فقد أبدى الصليحيون اهتماماً بحصنها للأغراض العسكرية، فتشير المصادر التاريخية إلى أن عبد الله الصليحي هو أول من اتخذ من حصن تعز (قلعة القاهرة) موقعاً عسكريا متقدما للدفاع عن جبلة عاصمة الدولة الصليحية، وربما أيضاً لتأمين الطريق إليها، وظل الحصن بحوزة الصليحيين، ومن الواضح أن الصليحيين قد حرصوا على حصن تعز لأهميته التي سبق ذكرها، فبالرغم من بيعهم كثيراً من حصونهم في عهد (المنصور بن المفضل)[15]، إبان ضعف دولتهم، إلاّ أن المفضل احتفظ بحصن تعز[16] وصبر[17]، لما كبر وأحب السكون والدعة، وهو أول من اتخذ (ثعبات)[18] متنزهاً له، وبعد أن توفي لبضع وأربعين وخمسمائة هجرية، خلفه ابنه أحمد بن المنصور على حصن تعز[19]، فمكث فيه مدة ثم باعه لابن مهدي[20].

4- تعز في العصر الأيوبي:

يدور جدل بين المؤرخين في ظهور مدينة تعز، فثمة من يرجعها إلى المرحلة الصليحية كما مر بنا في السياق السابق، وثمة من يرجعها إلى نهاية القرن السادس الميلادي، في فترة حكم الأيوبيين لليمن، والحق أن ثمة فرق بين اكتشاف حصن تعز الذي نرجح أن الصليحيين هم من اكتشفوه واتخذوه حصناً، وبين تمدين تعز الذي نرجح أن الأيوبيين هم من بدأوه سنة 579هـ، خصوصاً أن ثمة روايات تُرجع أول ظهور لاسم تعز إلى هذا التاريخ[21].

أ).سبب قدوم الأيوبيين إلى اليمن:

اختلف المؤرخون في سبب قدوم الأيوبيين إلى اليمن، فثمة من أرجعه لرغبة صلاح الدين الأيوبي في إيجاد ملجأ آمن له في حالة اصطدامه بنور الدين[22] ، وثمة من أرجعه إلى تلبية الخلافة العباسية لاستنجاد بعض أهل اليمن بها من ابن مهدي الذي عاث في اليمن قتلاً ونهباً وتشريداً، فأمر الخليفة العباسي صلاح الدين بتجهيز حملة عسكرية لغزو اليمن[23]، واستخلاصها من ابن مهدي.

وبالرغم من ترجيحنا للسبب الثاني لقدوم الأيوبيين إلى اليمن ، إلاَّ أننا نعتقد أنَّ حملة بذلك الحجم وتلك التكاليف، لا بد وأن لها أسباباً أخرى، تخدم أمن الدولة الأيوبية،لاسيما حروبها مع الصلينيين، فسعت إلى منع التحالف الوشيك بين الصليبيين في الشام والحبشة المسيحية ، وتأمين المدخل الجنوبي للبحر الأحمر من الصليبيين، ومن المعلوم أن اليمن هي التي تتحكم في ذلك المدخل بإطلالها على مضيق باب المندب، الذي يقع في النطاق الجغرافي لمنطقة تعز.

ب).اهتمام الأيوبيين بتعز:

ما إن وصل الأيوبيون اليمن حتى بدأوا بالبحث عن مكانٍ مناسب لدولتهم في اليمن، وقد لاقت تعز اهتماماً كبيراً من قبل الأيوبيين، وربما يتضح هذا الاهتمام في توجه توران شاه إثر وصوله إلى اليمن

إليها، فيذكر(ابن الديبع الشيباني)[24]، أن توران شاه اهتم بتعز بعد وصوله إلى اليمن لتكون مقراً للحكم الأيوبي"[25].

وبالرغم من أن ابن الديبع يشير إلى أن الأيوبيين بحثوا عن مكان لعاصمة ملكهم باليمن بعد أن اتخذوا زبيداً مقراً لهم باليمن، إلاّ أنه لم يذكر الأسباب التي حملتهم على ذلك؛ سواء لخروجهم من زبيد أم لنزولهم تعز.

ونحن نلتمس العذر لابن الديبع في عدم ذكر هذه الأسباب ،لأنه كان من أهل زبيد، وربما غلب عليه هوى زبيد، فعز عليه أن يبيِّن هذه الأسباب، إلاّ أنّ هذه الأسباب قد أفصح عنها بعض (المؤرخين المسلمين)، من خارج اليمن، فبيَّن (ابن خلدون)[26]أن توران شاه لم يستطب العيش في زبيد،فبحث عن مكان آخر أكثر مواءمة للسكن، فوجد ما يريد في تعز، إذ يقول :" واتخذ توران شاه زبيد سبباً لملكه ثم استوخمها، وسار في الجبال ومعه أطباؤه يتخير مكاناً صحيح الهواء للسكنى فوقع اختياره على تعز، فاختط هناك مدينة واتخذها كرسياً لملكه، وبقيت لبنيه ومواليهم من بني رسول".

ومثل هذا الاختيار المبني على أسس علمية طبية، يشير بوضوح إلى أهمية الموقع وجودة المناخ، وتفرد المكان الذي حظيت به تعز، وهي إمكانيات قلَّما تجتمع لمدينة واحدة.

وعندما قدم طغتكين بن أيوب إلى اليمن خلفاً لأخيه توران شاه أدرك أهمية حصن تعز،فزاد في تحصينه واستحكماته العسكرية، فكان معظم الحصن من بنائه، وهو ما أكده عدد من المؤرخين[27]، وقد أكد ذلك أحد الشعراء اليمنيين،إذ قال:

ليث الحروب صلاح الدين عامره غوث البرية راعيها وحاميها[28].

ثانياً : تعز في العصر الرسولي:

إذا كان الأيوبيون قد وضعوا اللبنات الأولى لتلك النهضة التي شهدتها مدينة تعز، ذلك أنهم هم الذين اكتشفوها، واختاروها لسكنهم[29]، فإن هذه المدينة لم تَطْف على سطح التاريخ وتظهر بين مدن العالم الكبيرة سوى في العصر الرسولي، بعد أن نقل بنو رسول عاصمة دولتهم إليها، فأخذت المدينة زخرفها – في عهدهم – وازَّيَّنت وآتت أكلها بإذن ربها في عصرهم، فكانت العاصمة السياسية والعلمية لليمن، ولأجزاء من الجزيرة العربية.

1) بحث الرسوليين عن عاصمة لدولتهم :

ظل الرسوليون يوطدون أركان الملك لأنفسهم في اليمن، خصوصاً بعدما لمسوا عزوفاً من ملوك الأيوبيين عن الإقامة في اليمن، وانشغالهم بخلافاتهم الداخلية، فأعلنوا استقلالهم باليمن عن الدولة الأيوبية.

وبعد أن كان للرسوليين ما أرادوا، بدأوا بالبحث عن المكان الملائم لعاصمة دولتهم، بحيث تكون بعيدةً عن الساحل لتكون بمنأى عن يد الأيوبيين في البحر الأحمر، إذا ما اتخذوا ضد الرسوليين إجراءً عسكرياً

في حالة إعلان قيام دولتهم، وفي الوقت ذاته تكون بعيدة عن منطقة نفوذ القبائل الشمالية إذا ما ثارت عليهم.

فزبيد كانت إلى جانب قربها من البحر– فهي قريبة من ميناء غلافقة، وبني رسول يدركون قوة الأيوبيين البحرية – تفتقر إلى التحصينات الطبيعية، الأمر الذي يجعلها منكشفة لأعدائها، ناهيك عن قيض صيف تهامة، وانتشار بعض الأوبئة فيها، ما جعلها في نظر الرسوليين غير صالحة لأن تكون عاصمة لدولتهم.

أما المنصورة في الجند القريبة من تعز، والتي كان قد استقر فيها الملك المنصور نور الدين عمر، فكانت مدينته في سهل فسيح يسهل مهاجمتها ويصعب الدفاع عنها، خصوصاً وقد شاهد الرسوليون ما لحق بها من دمار وخراب على يد (ابن مهدي)[30] في أتون الصراع الداخلي على الحكم قبيل ظهور الدولة الرسولية.

وباتت المنصورة هي الأخرى لا تصلح لأن تكون عاصمة للدولة خصوصاً بعد أن اغتيل مؤسسها السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول فيها.

أما صنعاء فكانت تعاني قبيل ظهور الرسوليين من الصراع المحتدم بين القوى السياسية المتنافسة على الحكم باليمن؛ من أئمة زيديين وصليحيين وغيرهم، حتى عزف الناس عن المقام بها، برغم نزاهة جوها، فتناقص دورها لتبلغ قبيل ظهور الدولة الرسولية ألف ونيف بيت، وهي التي بلغت أيام الرشيد والمأمون مائة وعشرون ألف بيت[31]، كما كان لوجود القبائل الكبرى في محيط صنعاء، مثل همدان وخولان، التي كانت دائماً ما توظف من قبل القوى المتنافسة، لاسيما من قبل الأئمة الزيديين، للوثوب على الحكام في صنعاء.

لهذا كله، ولغيره مما لم تُحِطْ به هذه الدراسة، نرجح، عزوف الرسوليين عن كل من زبيد وصنعاء والمنصورة بالجند، والبدء في البحث عن عاصمة جديدة لدولتهم، حتى وقع اختيارهم على تعز لتكون مقراً لإقامتهم ومركزاً لحكمهم لما تتمتع به من تحصينات طبيعية فريدة لا تكاد تجتمع لمدينة واحدة، فإلى جانب حصنها المسيطر على المدينة والمساحات المجاورة لها، يقف من ورائه جبل صبر رديفاً قوياً وعمقاً حيوياً لأي دولة تقوم فيها.

فإذا ما أضفنا إلى هذا كله اعتدال مناخ تعز في معظم فصول السنة، ووفرة مياهها وكثرة بساتينها ومتنزهاتها، وتنوع أشكال سطحها، وتوسطها بين مناطق اليمن، وبعدها النسبي عن القوى السياسة والمذهبية المتصارعة في الأجزاء الشمالية من اليمن، فإن ذلك وغيره قد قدم مبررات قوية لبني رسول للاستقرار بها، وجعلها قاعدة ملكهم باليمن، وربما كان ذلك أحد عوامل استقرار حكمهم في اليمن، ولا يعني هذا أن زبيد قد أهملت، بل ظلت مركزاً سياسياً وعلمياً إلى جانب تعز طوال العصر الرسولي.

غير أن المؤرخين على خلاف في تحديد زمن انتقال العاصمة الرسولية إلى تعز، فيذهب (الحداد)[32]،

إلى أن أول من اتخذ من تعز عاصمة للدولة الرسولية هو مؤسس الدولة نور الدين عمر ابن علي بن رسول،إذ يقول: فكان أهم عمل قام به عمر بن علي بن رسول: "اتخاذ مدينة تعز عاصمة لدولته وتلقب بالمنصور"[33]، وبالتالي يذهب إلى أن سنة 626هـ هي سنة تحول العاصمة الرسولية إلى تعز، وتربط (بعض المصادر)[34] انتقال العاصمة الرسولية إلى تعز بإعلان نور الدين الاستقلال عن الأيوبيين 629هـ [35]،فيما يذهب آخرون إلى أن الملك المظفر أول من اتخذ تعز عاصمة للدولة الرسولية، ومن ثم يذهبون إلى أن انتقال العاصمة إلى تعز كان سنة 647هـ، وهو أرجح الأقوال، خصوصاً أن ذلك اقترن بحادثة اغتيال الملك نور الدين[36]، في (المنصورة) بالجند.

ومن المؤكد أن المقصود بتعز في تلك الفترة ليس المدينة الحالية وإنما حصنها، لأن تعز المدينة لم تكن قد ظهرت، أو على الأقل لم يكن قد انسحب عليها اسم الحصن(تعز) بعد.

ثالثاً :انتقال العاصمة الرسولية إلى تعز:

كان من الطبيعي والرسوليون يوطدون أركان الملك لأنفسهم أن يبحثوا عن المكان الآمن لعاصمة دولتهم حتى لا تكون عرضة لتهديد أعدائهم في الداخل وفي الخارج (كما ذكرنا)، ولا يختلف اثنان في أن تعز هي أكثر تحصيناً من زبيد، بقلعتها والجبال المحيطة بها.

لذلك كان أول عمل قام به مؤسس الدولة الرسولية نور الدين عمر بن علي بن رسول، نقل عاصمة دولته إلى تعز، فحط على حصن تعز سنة 227هـ [37].

ولكن ما الذي حمل الرسوليين على اتخاذ مدينة تعز عاصمة لملكهم ؟ سؤال مهم إذ ترتب على هذا الاختيار استقرار الملك لهم في اليمن أطول مدة دون انقطاع، وللإجابة على هذا السؤال الكبير، لا يستطيع الباحث أن يذهب إلى اعتماد باعث واحد، فثمة مجموعة من العوامل رشحت تعز عاصمة للدولة الرسولية.

2) عوامل انتقال العاصمة الرسولية إلى تعز:

أ- خلو تعز من الانتماء للقوى السياسية المتنازعة في اليمن:

أراد الرسوليون أن يتخذوا عاصمة جديدة لملكهم لا يتنازع أهلها هوى أي من القوى السياسية المتنافسة على السلطة في اليمن حتى تملاء قلوب أهلها بحب الرسوليين، فصنعاء القريبة من مناطق النفوذ الزيدي ، كانت غير مناسبة في نظرهم لانتشار المذهب الزيدي فيها ووقوعها لأكثر من مرة تحت سيطرة الأئمة الزيديين، والأمر ذاته بالنسبة لجبلة التي كانت قاعدة الدولة الصليحية الإسماعيلية، وكانت زبيد قد تجاذبتها الولاءات بين القوى السياسية المختلفة منذ الزياديين مروراً بالصليحيين والنجاحيين وآل مهدي، وأصبحت هي الأخرى، إلى جانب أسباب أخرى، لا تصلح أن تكون عاصمة للدولة الرسولية.

استبعد الرسوليون صنعاء عاصمة لحكمهم باليمن لكثرة المتغلبين عليها، وهو ما ذهب إليه المؤرخ اليمني إسماعيل الأكوع ، حيث قال :" انصرف كثير من حكام اليمن من ملوك وأئمة وأمراء عن السعي للهيمنة على صنعاء لاتخاذها عاصمة لمن تغلب منهم عليها مخافة أن لا تدوم له السيطرة عليها مدة حكمه فكان أن استغنى عنها بمدينة أخرى، أو قرية بعيدة عن ميادين الصراع " [38] .

ب- العامل المذهبي:

عندما أزمع الملك المسعود العودة إلى مصر بعدما ولاه أبوه الملك العادل على دمشق، عين على اليمن- وإن بصفة مؤقتة- نور الدين عمر بن علي بن رسول، عندها بدأ نور الدين يهيئ لنفسه الحكم في اليمن، وربما بدأ في ذلك الوقت التفكير في اختيار المكان المناسب لعاصمة دولته، ولأنه أدرك أن الغالبة الساحقة من أهل اليمن هم من أتباع المذهب الشافعي، ويتركزون في المناطق الجنوبية والغربية والوسطى فقد أعلن انتقاله من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي، ليكون أكثر قبولاً لدى أهل هذه المناطق، ولا يجدون غضاضة من قبول حكمه، بغض النظر عن الرؤية التي برر بها هذا التحول المذهبي .[39]

ولأن تعز كانت منطقة متوسطة لأتباع المذهب الشافعي،فقد وقع الاختيار عليها لتكون عاصمة للدولة الرسولية، وقد أولى بنو رسول المذهب الشافعي أهمية كبيرة ليكون الحاضنة الفكرية لدولتهم، فبنوا عدداً كبيراً من المدارس لتدريس الفقه الشافعي،وأوقفوا عليها أوقاف جليلة، سواء في تعز أم في غيرها من المدن مثل زبيد وغيرها، وهو ما يتضح بجلاء من خلال وقفيات تلك المدارس التي تحدد مجال التدريس لطلبة الفقه فيها[40].

ج- التحصينات الطبيعية:

لعل من نافلة القول الحديث عن التحصينات الطبيعية لمدينة تعز، فهي واضحة لكل من يدخل هذه المدينة، فقلعتها ومن ورائها جبل صبر، يزيد من تحصيناتها، لكن ما يهمنا في هذا السياق الحديث عن البواعث التي حملت على تحول العاصمة الرسولية إلى تعز، فمثل هذه التحصينات لا شك قد أغرت الأيوبيين قبل الرسوليين في اتخاذ هذه المدينة عاصمة لدولتهم، خصوصاً أن المدن التي اتخذت قبل ذلك عاصمة لهذه الدول، سواء الأيوبية أم الرسولية، كانت تفتقر إلى التحصينات المطلوبة لأي عاصمة .

فمدينة الجند كانت منكشفة في سهل فسيح، تعوزها التحصينات الطبيعية، وهو الأمر الذي كان يسهل مهمة المهاجمين لها، فقد حاصرها (ابن مهدي) ودخلها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فقتل أكثر من فيها من صغير وكبير ورماهم في البير(البئر) التي في المسجد وحرق المسجد بمن فيه من الضعفاء والعجائز والمصاحف والكتب"[41].وإن كنا لا نميل إلى الرواية التي بالغت فيما فعله ابن مهدي في الجند، إذ تقول:" ثم أغار (ابن مهدي)على مدينة الجند في شوال 558هـ وحصرها أربعة عشر يوماً ثم دخلها

وقتل من وجد فيها من صغير وكبير ورماهم في البئر التي في المسجد وحرق أكثر دورها وحرق المسجد على من فيه من الضعفاء والعجائز والعواكف وما كان من أموال الناس والشُرح والودائع وأحرق الكتب والمصاحف التي كانت في المسجد، إلى غير ذلك من الفظائع التي ارتكبها في الجند"[42]،فهل قتل ابن مهدي كل من وجد في المدينة؟ أم كل من وجد في المسجد؟ لأن منطوق الرواية يشير إلى أهل المدينة.. ثم هل يستوعب بئر المسجد أهل مدينة الجند؟ التي كانت حينذاك عامرة.. وإذا كنا نستبعد أن يكون ابن مهدي قد قتل جميع أهل مدينة الجند، فنحن أكثر استبعاداً أن يكون قد رماهم جميعاً في البئر، ويعزي الباحث ورود مثل هذه الروايات إلى المبالغات التي اعتدناها من المؤرخين، الذين أفرطوا في تصوير ما فعله ابن مهدي وغيره من الخوارج عبر مراحل التاريخ الإسلامي، وهذا لا يبرأ في الوقت ذاته ابن مهدى من ارتكاب جرائم ضد أهل الجند وغيرها، ولكن لا نظن أنها كانت وفق منهج الاجتثاث والاستئصال.

وعلى أية حال فهذا الأمر ليس من اختصاص هذه الدراسة، ولكن ما يعنينا هنا هو أن مدينة المنصورة كانت تفتقر إلى التحصينات الطبيعية التي تحتاجها عاصمة الدولة..

لم تكن هذه الأحداث التي انتابت مدينة الجند بخفيَّة عن الرسوليين، ولذلك فقد بدأ الرسوليون بالانتقال التدريجي إلى تعز، فاتخذها الملك المنصور قاعدة لحكمه، ومقراً لإقامته، وبعد أن قُتِل في المنصورة بالجند[43]، بدأ بنو رسول يدركون أهمية أن تكون عاصمة دولتهم حصينة، فحرص ابنه الملك المظفر على الاستيلاء على حصن تعز، وظل يحاصره شهرين كاملين، قبل أن يستخلصه من أخيه المفضل وأمه (بنت جوزة)[44] التي عملت على تولية ابنها السلطان على حساب المظفر[45].

ولذلك فقد وصف الرحالة المسلمون تعز بأنها أعظم قلاع اليمن[46]، فكان لحصنها وظائف متعددة، منها ما هو عسكري دفاعي، ومنها ما هو سياسي، وغير ذلك، فقد استخدمت لإقامة ملوك بني رسول ، فكان بها دار الإمارة، ودار الضيافة لاستقبال الوفود، واستخدمت سجناً للمعارضين السياسيين، فاشتملت على دار الأدب، بل أنها ضمت أيضا محكمة للفصل في النزاعات، عرف بدار العدل.

ومن الواضح أن وصف ياقوت لتعز كان قبل ظهور المدينة، فاقتصر وصفه على الحصن، وهو في الوقت الذي يؤكد فيه عدم ظهور المدينة؛ يشير إلى أن المدينة قد أخذت اسمها بعد ذلك من الحصن، ويبدو أنه لم يصل إلى المدينة، وإذا افترضنا جدلاً أنه زار تعز فمن المؤكد أن ذلك كان قبل العصر الرسولي، لأنه توفي سنة 626هـ أي في العام الذي استقل فيه بنو رسول بحكم اليمن، ومع ذلك كله، نرجح أنه لم يزر المدينة ولا الحصن، وإنما سمع به، وهو ما يشي به وصفه المقتضب للحصن، فلو زاره لأسهب في وصفه، كما يتبين ذلك من وصفه لجبل صبر في موضع آخر، إذ اعتمد على غيره[47]، في وصفه لنواحي من الجبل.

د- اعتدال مناخ تعز:

من أهم ما يميز تعز اعتدال مناخها طوال السنة، وهي ميزة لا تتوفر سوى في عدد قليل من المدن، ما يجعلها مستقراً مثالياً لكل من يبحث عن الراحة والطمأنينة، وهو مناخ حيوي يساعد كذلك على العمل والإنتاج، ولا شك أن هذا العامل كان مؤثراً في اختيار الرسوليين تعز مقراً لملكهم في اليمن.

وقد كان للموقع الجغرافي والفلكي لتعز، إلى جانب تنوع أشكال السطح، أثر كبير في مناخها، إذ تقع في الجنوب الغربي من اليمن بين دائرتي عرض (12.40° - 13.55 °) شمالا،(43.13 ° - 44.31 °) شرقاً، فاتسم مناخها بالاعتدال والتنوع[48].

ومن دراسة للمناخ الحيوي لتعز تبين أنها تتميز بحرارة دفيئة صيفا(30 م) ومعتدلة شتاء (23 م) ملحق (2) وإن كانت هذه السمة العامة تختلف من مكان لآخر في ضوء عدد من الضوابط الجغرافية .ففي المناطق المرتفعة التي تزيد عن 1600 م يغلب على صيفها الاعتدال نسبيا (26 م) ويكون شتاؤها بارداً (20 م)، أما في المناطق السهلية المطلة على البحر الأحمر فيغلب على صيفها الارتفاع في درجات الحرارة (34 م)، بينما يتميز الشتاء بالدفء (26 م)[49].

هـ. توسط تعز بين أقاليم اليمن:

وفر موقع تعز الجغرافي ميزة أخرى لهذه المدينة إلى جانب ما سبق، دعا الرسوليين لاختيارها عاصمة لدولتهم في اليمن، ذلك أن تعز بهذا الموقع مثلت همزة وصل بين مناطق اليمن المختلفة؛ إذ تربط المناطق الشمالية بالجنوبية، والشرقية بالغربية، وقد أهلها هذا الموقع لتكون عاصمة الرسول صلى الله عليه وسلم في اليمن؛ عندما أمر معاذ بن جبل بالاستقرار فيها، واتخاذها قاعدة لإدارة اليمن، انظر الجدول(1).

رابعاً: تطور مدينة تعز في العصر الرسولي :

ما أن انتقل الرسوليون إلى تعز حتى أخذوا في عمارة المدينة وتوسعتها ببناء المدارس والقصور وغيرها من المرافق التي تجمع الناس حولها فاختطت الأحياء، لتخرج عن أسوار الحصن الذي أخذت اسمها منه، وكانت قبل ذلك محصورة في الحصن، بالإضافة إلى قرية صغيرة خارج الحصن تدعى عدينة، لتشمل المغربة وثعبات وحسنات، وغيرها من الأحياء، حتى وصفها ابن بطوطة الذي زارها في العصر الرسولي، بأنها من أحسن مدن اليمن وأعظمها[50].

فهل كان الاسم تعز مقصور على الحصن (قلعة القاهرة) أم أنه كان مفتوح على كل المساحات المحيطة بالحصن ؟ ثم متى انتقل الاسم تعز من الحصن إلى المدينة ؟

تكاد تجمع الروايات التي قدمت لنا الأحداث التاريخية التي دارت في منطقة تعز قبيل وإبان ظهور الدولة الرسولية على أن تعز ظل اسم مقصور على الحصن، فكلما ورد لفظ تعز يأتي مقروناً بلفظة حصن ، فجل الإشارات التي يلتقطها الباحث أو حتى القارئ العادي للمصادر التاريخية ، تبيِّن أن تعز

المدينة لم تأخذ اسمها إلاّ في العصر الرسولي، بينما قبل ذلك كان المقصود بتعز الحصن ، فمؤلف تاريخ الدولة الرسولية يورد تعز أيام الأيوبيين بمعنى الحصن ،إذ يقول :" تسلم الملك المسعود حصن تعز المحروس في شهر صفر 612هـ "[51].

إشارة إلى أن المدينة تعز لم تكن قد ظهرت بعد، ولذلك جعل المحروس صفة للحصن ولم يجعله صفة للمدينة، وإلاّ لقال تعز المحروسة"[52].

بل لقد ظل اسم تعز يطلق على الحصن في العصر الرسولي يؤكد ذلك ابن الديبع إذ يقول ": وأمر الملك المؤيد بتجهيز أخيه الأشرف ودفنه في مدرسته(الأشرفية)[53] التي بناها في (مغربة تعز)[54]"[55]، إشارة إلى أن تعز كان المقصود به الحصن وهو ما يتضح من تحديد موقع المدرسة الأشرفية بأنها بمغربة تعز ، وهي كما هو واضح من موقعها إلى الغرب من قلعة(تعز) القاهرة .وإن كان النص يوحي أيضاً بأن اسم تعز بدأ ينسحب على المساحات المحيطة بالحصن ، وهو ناتج عن لتوسع العمراني الذي شهدته المدينة بعد نقل الرسوليين عاصمتهم إليها، مما أدى إلى اتصال البناء من الحصن حتى السوق (عدينة).

نتائج الدراسة :

1- اكتسبت منطقة تعز، قبل ظهور مدينة تعز، بفضل موقعها المتوسط بين مناطق اليمن المختلفة، أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، فكانت عاصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لليمن وكانت عاصمة الرسوليين.

2- تتمتع مدينة تعز بمقومات طبيعية وبشرية أهلتها لأن تكون عاصمة الدولة الرسولية.

3- شهدت الدول التي اتخذت تعز عاصمة لليمن استقراراً سياسياً ونهضة علمية وازدهاراً اقتصادياً لافتاً.

4- اختطت مدينة تعز على أسس علمية طبية، فاختارها أطباء الأيوبيين لإقامة السلطان توران شاه بعد أن رغب عن زبيد، وكانت المدينة حينذاك عدينة والحصن تعز.

5- عانت مدينة تعز من الإهمال في تاريخها، لاسيما ظروف نشأتها، ولذلك تأتي هذه الدراسة وغيرها من الدراسات التي خصصت لتاريخ تعز رداً لاعتبارها.

6- كان أول ظهور لاسم تعز في المصادر التاريخية في منتصف القرن الخامس الهجري، واقتصر على الحصن،حصن تعز(قلعة القاهرة)، فيما كانت المناطق الأخرى تدعى باسمها عدينة والمغربة، ثم انسحب الاسم(تعز) شيئاً فشيئاً على المدينة.

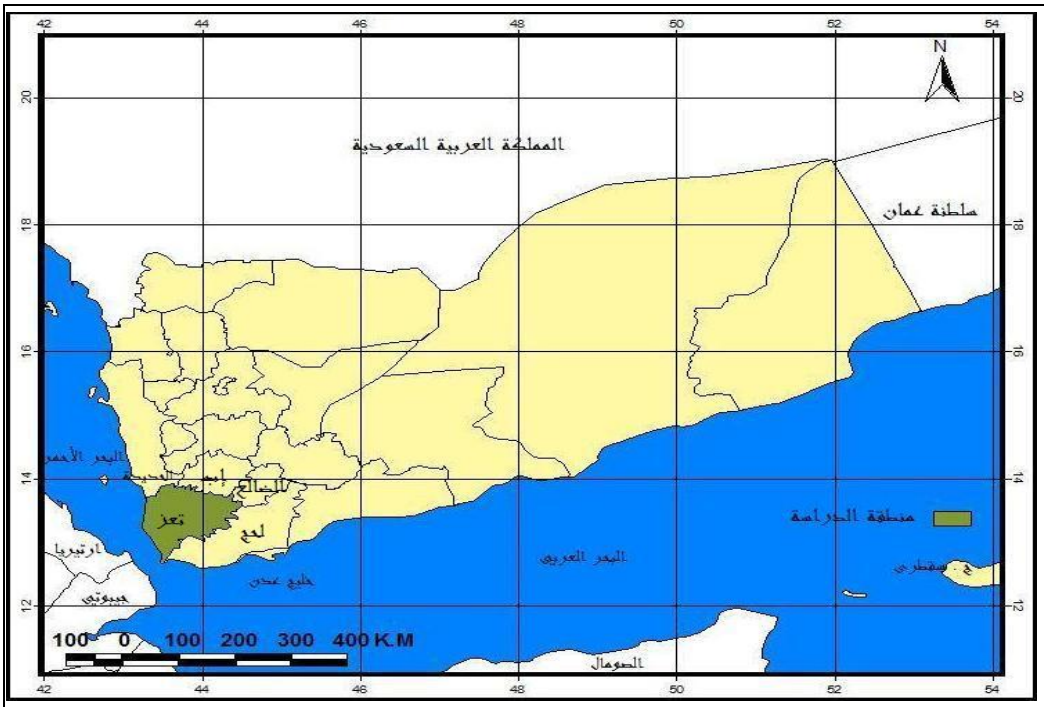

ملحق رقم (1)موقع تعز بالنسبة للجمهورية اليمنية.

المحطة	الحرارة	شتاء	ربيع	صيف	خريف	المعدل السنوي
عصيفرة	عظمى	27.00	30.80	32.70	30.70	30.40
	صغرى	14.50	18.40	19.30	17.10	17.30
	متوسط	21.10	24.70	26.10	23.70	23.90
	مدى حراري	12.50	12.40	13.40	13.60	13.10
محطة مطار تعز	عظمى	25.70	29.60	32.10	29.20	29.20
	صغرى	11.90	15.00	18.10	13.80	19.60
	متوسط	19.60	24.00	25.30	22.30	22.80
	مدى حراري	13.80	14.60	14.00	15.40	9.60
محطة الموارد المائية	عظمى	26.40	30.90	31.30	29.00	29.40
	صغرى	16.00	20.60	22.90	18.30	19.70
	متوسط	20.30	24.80	26.60	23.20	23.70
	مدى حراري	10.40	10.30	8.40	10.70	9.70
متوسط المناطق الجبلية	عظمى	26.37	30.43	32.03	29.63	29.67
	صغرى	14.13	18.00	20.10	16.40	18.87
	متوسط	20.33	24.50	26.00	23.07	23.47
	مدى حراري	12.23	12.43	11.93	13.23	10.80
البرح	متوسط	25.5	28.3	31	29	28.4
زبيد	متوسط	25.6	30.6	32.8	29.2	29.6
متوسط المناطق الهضبية		25.55	29.45	31.9	29.1	29.00
المخاء	عظمى	30.60	33.60	35.80	32.80	33.20
	صغرى	20.60	25.10	29.60	27.20	25.60

ملحق (2) المعدل الشهري لدرجات الحرارة (في منطقة تعز (1973 – 2008)م.

الهوامش :

1 – ابن الديبع الشيباني ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ،271– 272.

2 – ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ، ص 159 ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1951م.

3 – السكاسك والسكون جزء من قبائل كندة انتقلت من شمال وادي حضرموت إلى الجند واستقرت بها، والسكاسك هم ولد السكاسك بن أشرس بن ثور وهو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب، والسكون من قبائل كندة سكنوا الجند وكان منهم عدد من الصحابة والتابعين (الحجري.محمد بن أحمد : معجم بلدان اليمن وقبائلها ، ج2، ص 426، 427،تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء،ط1404،1هـ/1984م.

4 – الأهدلي.محمد بن علي الحسيني ، نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون،ص72، مطبعة زهران ،القاهرة، د. ط.ت.

5 – صبر بفتح الصاد وكسر الباء وسكون الراء ، جبل مشهور في اليمن ، بل أشهرها على الإطلاق ، يحتضن مدينة تعز من الجهتين الشرقية والجنوبية، ويرتفع عن سطح البحر بحوالي ثلاثة آلاف متر، ويشتمل على ثلاث مديريات هي صبر الموادم والمسراخ ومشرعة وحدنان، وهو من أكثر جبال اليمن سكاناً إذ يبلغ سكانه ثلاثمائة ألف نسمة ، وتنتشر فيه الزراعة لاسيما زراعة الفواكه والخضروات ، وكان فيما سبق من أهم مناطق إنتاج البن في اليمن، وإن حلت زراعة القات اليوم في كثير من مناطقه ، وكان جبل صبر يزود مدينة تعز بالمياه العذبة ، وهو مع ذلك كله يقف حصناً طبيعياً يحمي مدينة تعز، وقد ورد اسم صبر في بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي أن مكاتباً أتى علياً رضي الله عنه فقال له أعِنِّي فقال له: ألآ أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان مثل جبل صبر ديناً أداه عنك : "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك"(المقحفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، ص244، دار الكلمة ، صنعاء ، 1985م،– المخلافي. عبد الفتاح بن محمد بن علي، مرآة المعتبر في فضائل جبل صبر،ص10، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكوع،المعمل الفني للطباعة، تعز،ط1404،1هـ/ 1984م).

6 – سَوْرَقْ بفتح السين وسكون الواو وفتح الراء،جبل من أعمال ماوية إلى الشمال من مدينة تعز ،تنسب إليه الحمر السورقية، وكان يسمى قديماً بجبل الصردف (الحجري. محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، ج2،ص 435،تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ط1، 1404هـ / 1984م).

7 – من واقع زيارة قام بها الباحث إلى مسجد الجند، فوجده على الهيئة التي ذكرت.

8 – عبد الحكيم شاهر، المعافر دراسة من خلال المصادر التاريخية والأثرية ، بحث منشور في كتاب تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، ج1،ص 2010،المؤتمر الدولي الأول لجامعة تعز ومؤسسة السعيد، مطبعة النيل، تعز، ط1، 2010م.

9 – عمارة اليمني. تاريخ عمارة ، ص 382،انظر كذلك: حسين بن فيض الله الهمداني، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن،ص88، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،2004م.

10 – ابن سمرة الجعدي،طبقات الفقهاء، ص153.

11 – عمارة اليمني.، تاريخ اليمن، ص 282.

12 – ابن سمرة : طبقات الفقهاء، ص153.

13 – الفقيه أحمد بن محمد بن علي بن فليتة، كاتباً أديباً شاعراً، له ديوان شعر ممتع في مجلدين ضخمين، أحدهما في الشعر العربي الفصيح، والآخر في الشعر الحميني والساحليات يسمى سوق الفواكه ونزهة المتفاكه، كان مقرب من ملوك بني رسول خصيصاً بهم، مدح الملك المؤيد والملك المجاهد، توفي في زبيد سنة 733هـ، ودفن في مقبرة باب القرنب(الخزرجي.علي بن الحسن(ت 812هـ) العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن،ج1، ص429، تحقيق عبد الله العبادي وآخرون، الجيل الجديد ناشرون ، صنعاء، ط1، 1430هـ / 2009م).

14– المخلافي ، مرآة المعتبر في فضائل جبل صبر ، ص15.

15 – أبو أحمد المنصور بن المفضل بن أبي البركات الحميري،كان أميراً على كثير من المناطق في أواخر العصر الصليحي،ولي الملك بعد وفاة السيدة بنت أحمد الصليحي، كان كريماً، لما كبر وأحب السكون والدعة باع التعكر وحصن حب وأعمالها، وسائر المعاقل والمدائن التي كانت للصليحيين، وهي ثمانية وعشرون حصناً، للداعي محمد بن سبأ بمئة ألف دينار، واستثنى منها حصن تعز وصبر، ثم طلق زوجته الصليحية بنت عبد الله بن عبد الله بن محمد الصليحي، وأقام بحصن تعز إلى أن مات، وهو أول من اتخذ ثعبات متنزهاً، ينزل من الحصن إليها فيقف فيها أياماً، وكانت وفاته لبضع وأربعين وخمسمائة هجرية(الخزرجي، العقد الفاخر الحسن،ج4، ص2188، عمارة . المفيد في أخبار صنعاء وزبيد،ص160).

16 – عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص 172.

17 – الخزرجي، العقد الفاخر الحسن،ج4، ص2188.

18 – ثعبات: قرية إلى الشرق من حصن تعز بسفح جبل صبر،كثيرة الفواكه، يغذيها جبل صبر بعدد من العيون، وقد اتخذها ملوك بني رسول متنزها لهم، لهم فيها عدد من القصور،مثل قصر المعقلي،وفيها مسجد كبير،ما زالت آثاره باقية إلى اليوم،وهي الآن جزء من مدينة تعز.

19– المصدر نفسه.

20 عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص 188. الخزرجي، العقد الفاخر الحسن،ج4، ص2188.

21 – المخلافي، مرآة المعتبر في فضائل جبل صبر،ص14.

22 – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1، ص 306، الجندي. السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج2، ص 526، الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله ، تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار،ص 91، تحقيق : عبد المحسن مدعج المدعج، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ،ط1، 1992م

23 – الجندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج2، ص 525، 526، انظر كذلك ، الشويعر . محمد بن عبد الله ابن عبد الرحمن، الصراع السياسي والفكري في اليمن في العصر الأيوبي ، ص 39، 40، الرياض، 1417هـ.

24 – ابن الديبع، قرة العيون،ص323.

25 – الحداد ، التاريخ العام لليمن ، ج2، ص 386.

26 – عبد الرحمن. الحضرمي (ت808هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ9 ص647،632 دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

27 – الجندي: السلوك جـ2 ص 527. ، ابن الديبع الشيباني ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ص 336،ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ص 156.

28 – المخلافي، مرآة المعتبر في فضائل جبل صبر، ص 20.

29 – يشير بعض المؤرخين اليمنيين إلى أن سيف الدوله توران شاه قد جعل من تعز دارا لإقامته قبل مغادرته اليمن (با مخرمة.أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد ت 947هـ)، النسبة إلى المواضع والبلدان. ج1، ص 372 ، 373 تحقيق/محمد المعلمي، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة صنعاء 2005م.

30 – هو أبو الحسن علي بن مهدي بن علي بن داود بن محمد بن عبد الله .. الحميري الرعيني،كان حنفي المذهب في الفروع، خارجي العقيدة، استولى على زبيد سنة 554هـ/ ثم استولى بعد ذلك على بقية مناطق اليمن الواحدة تلو الأخرى(عمارة بن علي اليمني، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص 169، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء،ط1431،4هـ/ 2010م).

31 – الرازي.(أحمد بن عبد الله ت 460هـ/ 1067م)، تاريخ صنعاء ، ص 160، تحقيق:د. حسين عبد الله العمري، وعبد الجبار زكار ، ط1، بيروت ، 1974، يحيى بن الحسين.(بن القاسم بن محمد بن علي. ت1100هـ/ 1688م)،غاية الأماني في أخبار القطر اليماني،ج1، ص 240، تحقيق . سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1388هـ/ 1968م .

32 – محمد يحيى،التاريخ العام لليمن،ج2،ص453، 454، 455.

33 – الحداد ، التاريخ العام لليمن ،ج2، ص 464.

34 – با مخرمة.أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،ج3،ص2830، تحقيق : محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 1425هـ/2004م

35 – ويمكن التوفيق بين التاريخين 626هـ و229هـ ، في أن الأول استقل فيه بنو رسول باليمن عن الأيوبيين من الناحية العملية دون أن يعلنوا ذلك، والثاني أعلنوا فيه الاستقلال رسمياً عن الأيوبيين، بعد أن اطمأنوا على دولتهم من الأيوبيين، ومدوا سلطانهم إلى الحجاز.

36 – كان اغتيال السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول في المنصورة بالجند على يد بعض مماليكه، في التاسع من ذي القعدة سنة 647هـ (المقري.إسماعيل بن أبي بكر، عنوان الشرف الوافي،ص 44، يحقيق، عبد الله إبراهيم الأنصاري،مكتبة الإرشاد ، صنعاء، 1429هـ/2008م).

37 – ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ 9 ، ص 632 .

38 – المصدر نفسه ، ص 456 .

39 – روي أن الملك نور الدين عمر بن علي بن رسولي رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يقول له يا عمر تحول إلى مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي، فما كان منه إلاّ أن أعلن تحوله إلى المذهب الشافعي، وبدأ يهتم بتدريس الفقه الشافعي في معظم المدارس التي أنشأها(إسماعيل الأكوع (القاضي)، الدولة الرسولية في اليمن ، ص 6 ، جامعة عدن ، عدن ، ط1، 2003م).

40 – الوقفية الغسانية، مديرية الأوقاف، تعز.

41 – ابن المجاور. يوسف بن يعقوب، (ت690هـ/ 1291م)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز،(تاريخ المستبصر)، ص165، ابن الديبع، قرة العيون، ص272، ابن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن ، ص 180،تحقيق: عبد الحميد هزاع، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، ط1، 1432هـ / 2011م، بامخرمة. أبو محمد الطيب بن عبد الله،قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر،ج2، ص 2401، عمارة اليمني، تاريخ اليمن،ص323، انظر كذلك، إسماعيل الأكوع، الدولة الرسولية في اليمن، ص6، كذلك :رجب، غازي،جامع الجند لبنة جديدة في هيكل العمارة الإسلامية، مجلة اليمن الجديد، ص55، العدد الأول، السنة الخامسة عشرة، صنعاء،1986، وزارة الإعلام والثقافة.

42 – الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، 137 ، انظر :الحداد، التاريخ العام لليمن،ج 2، ص349 .

43 – ابن عبد المجيد.تاج الدين عبد الباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص144، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي،دار الحكمة اليمانية، صنعاء،ط1408،1هـ/1988م.

44 – بنت جوزة هي زوجة السلطان نور الدين، كانت حظية لديه، وقد استغلت قربها من الملك المنصور في تولية ابنها المفضل متجاوزة بذلك أخاه الأكبر المظفر، خصوصاً أن المظفر كان بعيداً في المهجم عند وفاة والده، وتمكنت من استمالة مماليك زوجها في حصني تعز والدملوة وفي زبيد، لكن المظفر تمكن من التقدم من المهجم إلى زبيد، ثم إلى تعز فالدملوة،حتى تمكن من انتزاع الحكم من أخيه المفضل.

45 – ابن عبد المجيد.تاج الدين عبد الباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص146، 147.

46 – ياقوت، معجم البلدان، ج2،ص 34، ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز(تاريخ المستبصر)،ص 184، تحقيق: ممدوح حسن، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، د.ط، 1996م القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد ت821هـ 1418م،ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار،ج1، ص 186،المطبعة الخيرية ، (د.م)، ط1، 1322هـ، (رحلة ابن بطوطة) ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص 6،7، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م.

47 – يعتمد ياقوت على بعض من زار صبر في وصفه له ، إذ يقول: وقال ابن أبي الدمينة : وجبل صبر في بلاد المعافر وسكانه الركب والحواشب من حمير وسكاسك (ياقوت، معجم البلدان، ج3،ص392).

48 – محمد توفيق ، المناخ الحيوي لتعز، ص 1474، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي الأول لكلية الآداب جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة، دار النيل، تعز، 2010م.

49 – محمد توفيق، دراسة في المناخ الحيوي لتعز، ص 1478.

50 – قسم ابن بطوطة مدينة تعز إلى ثلاثة مناطق(أحياء)،إحداها يسكنها السلطان ومماليكه وحاشيته وأرباب دولته، وتسمى باسم لا أذكره(ربما قصد المغربة)،والثانية يسكنها الأمراء والأجناد، وتسمى عدينة، والثالثة يسكنها عامة الناس وبها السوق العظمى وتسمى المحالب، (ولعله قصد المحاريب) (تحفة النظار في غرائب الأمصار(رحلة ابن بطوطة)،ج1،ص 186).

51 – قرة العيون ص 423 .

52 – مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص 15.

53 – تقع المدرسة الأشرفية في حافة الملح في مغربة تعز ، أنشأها الملك الأشرف الأول عمر بن يوسف بن عمر بن رسول ، في فترة حكم والده الملك المظفر، ورتب فيها ما يحتاج إليه مرتادوها ، وما يلزم لقيام العملية التعليمية ، من أوقاف وفقهاء ومحدثين وطلاب، وخصها بتدريس الفقه الشافعي(الجندي . السلوك، ج1،ص 189، الخزرجي ، العقد الفاخر الحسن، ج3، ص1635، 1636.

54 – تقع غرب ذي عدينة وحصن تعز. وخلال العصر الرسولي لا نجد من المعلومات ما يحدد لنا أين كانت المغربة بالتحديد، وإن كانت بعض المصادر المتأخرة تذكر أنها كانت في العصر العثماني إلى جوار حارة المداجر ، وهو ما يشير إلى أنها في العصر الرسولي كانت فعلاً جوار حارة المداجر التي كانت هي الأخرى موجودة في العصر نفسه، والذي لم يكن للسور فيه وجود حين ذاك ومما يؤكد هذا الاحتمال ما ذكره بعض المؤرخين بأن تعز "التي يضمها السور وفيها جامع المظفر كانت تسمى عدينة". ، وقد كان أول من سكن مغربة تعز هم الأيوبيون حيث تم فيها بناء بعض المدارس والدور منذ عهد سيف الإسلام طغتكين بن أيوب وولده المعز ومن حكم بعدهم ومن ذلك مثلاً مسجد المغربة والمدرسة الأشرفية والمدرسة السيفية، أما في العصر الرسولي فقد توسعت مغربة تعز فشمل البناء فيها الكثير من المدارس والمساجد والدور والسوق، والملاحظ هنا أن حي المغربة لم تبن فيه القصور – قصور السلاطين أو دورهم الكبيرة – عدا دار المضيف الذي بناه السلطان المظفر، مما يدل على ازدحامها بالسكان في العصر الرسولي (الجندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ج1، ص 291، انظر السنيدي ، المدارس اليمنية ، ص88، مطبعة سفير، الرياض ، ط1، 1424هـ/ 2003م)، انظر كذلك المختار. عبد الرحمن، خطط مدينة تعز،بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي الأول لكلية الآداب جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلو والثقافة،(تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، ج2،ص 495،دار النيل، تعز،ط1، 2010م.

55 – ابن الديبع الشيباني ، قرة العيون ، ص 409 .

المصادر والمراجع :

أولاً المصادر :

الأهدلي.محمد بن علي الحسيني.

1– نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون، مطبعة زهران ،القاهرة، د. ط.ت.

الجندي(. أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب ت 730هـ)

2– السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد بن علي بن الحسين الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء ، ط1، 1414هـ/ 1993م.

الحمزي. عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله.

3– تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، تحقيق:عبد المحسن مدعج المدعج، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت،ط1، 1992م.

الخزرجي .(موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي ت 812هـ).

4– العقد الفاخر الحسن، تحقيق عبد الله العبادي وآخرون، الجيل الجديد ناشرون ، صنعاء، ط1، 1430هـ / 2009م).

5– العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ،ط1 ،2008 .

ابن خلدون.(عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ت808هـ) .

6– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط.ت.

7– **ابن خلكان**.(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت 681هـ/ 1282م).

وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت، د.ت.

ابن الديبع.(عبد الرحمن بن علي الزبيدي الشيباني ت944هـ)

8– قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ،ط1، 2006م .

الرازي.(أحمد بن عبد الله ت 460هـ/ 1067م).

9– تاريخ صنعاء ، ص 160، تحقيق:د. حسين عبد الله العمري، وعبد الجبار زكار ، ط1، بيروت

ابن سمرة. (عمر بن علي الجعدي ت 586هـ).

10– طبقات فقهاء اليمن ، ص 180،تحقيق: عبد الحميد هزاع، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، ط1، 1432هـ/ 2011م.

ابن عبد المجيد.تاج الدين عبد الباقي.

11– بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي،دار الحكمة اليمانية، صنعاء،ط1408،1هـ/1988م.

عمارة(بن علي اليمني ت 569هـ).

12– تاريخ اليمن المعروف بتاريخ عمارة، مكتبة الإرشاد ، صنعاء، ط2، 1430هـ/ 3009م.

13- المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء،ط1431،4هـ/ 2010م).

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد ت821هـ 1418م.

14- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م.

ابن المجاور.

15- صفة بلاد اليمن ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1951م.

- صفة بلاد اليمن ،تحقيق: ممدوح حسن، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، د.ط، 1996م.

مجهول .

16- تاريخ الدولة الرسولية . تحقيق عبدالله محمد الحبشي ،مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ،1984م.

با مخرمة.أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد.

17- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق : محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 1425هـ/2004م.

18- النسبة إلى المواضع والبلدان، تحقيق/محمد المعلمي، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة صنعاء 2005م.

المخلافي. عبد الفتاح بن محمد بن علي.

19- مرآة المعتبر في فضائل جبل صبر، تحقيق : محمد بن علي بن الحسين الأكوع،المعمل الفني للطباعة، تعز ،ط1404،1هـ/ 1984م.

الوصابي . وجيه الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر، ت 782هـ .

20- تاريخ وصاب، تحقيق : عبد الله محمد الحبشي ،مكتبة الإرشاد، صنعاء،ط2، 1427هـ/ 2006م

ياقوت.(شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت 626هـ/ 1229م).

21- معجم البلدان،دار صادر ، بيروت ، د.ط.ت.

يحيى بن الحسين.(بن القاسم بن محمد بن علي. ت1100هـ/ 1688م).

22- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق . سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد مصطفى زيادة ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، 1388هـ/ 1968م .

ثانياً المراجع:

الأكوع . إسماعيل بن علي .

23- الدولة الرسولية في اليمن، دار جامعة عدن .

الحجري.محمد بن أحمد.

24- معجم بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعا،ط1404،1هـ/1984م.

الحداد . محمد يحيى.

25- تاريخ اليمن العام، وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ،2004م .

حسين بن فيض الله الهمداني.

26- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،2004م.
السنيدي . عبد العزيز بن راشد.
27- المدارس اليمنية في عصر الدولة الرسولية، مطبعة سفير ، الرياض ، ط1، 1424هـ/ 2003م).
الشويعر . محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن.
28-الصراع السياسي والفكري في اليمن في العصر الأيوبي ، ص 39، 40، الرياض، 1417هـ.
المقحفي. إبراهيم بن أحمد
79- معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة ، صنعاء ، 1985م).
ثالثاً الدوريات:
رجب. غازي.
30- جامع الجند لبنة جديدة في هيكل العمارة الإسلامية، بحث منشور في مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، السنة الخامسة عشرة،1986م، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء.
شاهر.عبد الحكيم.
31- المعافر دراسة من خلال المصادر التاريخية والأثرية، بحث منشور في كتاب تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور،المؤتمر الدولي الأول لجامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة(تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور)، مطبعة النيل، تعز، ط1، 2010م.
32- محمد توفيق.
دراسة في المناخ الحيوي لتعز، بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي الأول لكلية الآداب جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة(تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور)، دار النيل، تعز،ط1، 2010م.
المختار. عبد الرحمن.
33- خطط مدينة تعز،بحث منشور في كتاب المؤتمر الدولي الأول لكلية الآداب جامعة تعز ومؤسسة السعيد للعلوم والثقافة،(تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور)، دار النيل، تعز،ط1، 2010م.